زخـارف مســـجد الحلالبة العتيـــق ومدلولاتها الشعبيّة ببلدة أولاد علي بالرياينـــة

د. الـــزّروق سالم عون ـ كلية التربية ـ الرياينـــة

مقدّمـــة :

المباني الأثريـــة والزخارف الموجودة تدل دلالة واضحة على مراحـــل تطور المجتمع من الناحية المادية والمعنوية ، فمن الناحية المادية : طريقة البناء والمواد المستخدمة فيها ونوعها وأحجامها وأشكالها ومواقعها ، كل هذا يعطي فكرة عن نوع الحياة المادية للمجتمع ، أما من الناحية المعنوية المتمثلة في الزخـــارف البارزة والنقوش الغائرة والرسومات والأشكال الهندسية وما إلى ذلك ، تعطينا معلومات عن الحياة الفكرية للمجتمع الذي قام بتركها من حيث معتقداته الدينية واتجاهاته السياسية وأنماط حياته الاجتماعية.

وهـــذه الزخارف على اختلاف أنواعها وتعدد مصادرها ليست ســـوى دلالات على المحطات الاجتماعية التي مرّ بها الإنسان في مرحلته المعيشية المادية والمعنوية ، ولمعرفة هذه الدلالات للحياة المجتمعية لبلدة أولاد علي من خلال الزخارف البارزة في مسجد الحلالبـــة العتيق يمكن أن نلاحظ عدة أنواع منها :الزخارف الخطية، الزخارف التي تحمل التفاؤل والخير ،الزخارف التي تحمل طرد العين والشر، الزخارف الفنية المتنوعة ،وبالتالي اشتملت على عدة مؤشرات لغوية واجتماعية ودينية وهو ما سوف يتم تناوله في هذا البحث .

مشكلة البحث :

أغلب المساجد العتيقة في ليبيا توجد بها زخارف متنوعة حسب ثقافة من قـام بزخرفتها واتجاهاته السياسية والفترة الزمنية التي تم البناء فيها ونمطه السائد وقت تشييد هذه المساجد .

ولعل ما قام به " عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عند توسيع مسجد الرسول - صلي الله عليه وسلم - بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من الحجارة ، وسقفه من الساج "[1] ، لدليـــل على أن النقوش وجدت في المساجد منذ صدر الإسلام ، واستمرت كذلك في مختلف فترات الحضارة الإسلامية في مختلف المدن تأخذ اتجاهات متنوعة

حسب الزمن والسياسة والثقافة ، لذلك كـلّ فترة من فترات الفن الإسلامي لها طرازها الخاص من الزخرفة وعناصر زخرفية جديدة تضاف باستمرار إلى العناصر القديمة كما أن العناصر القديمة تعدل وتحّور في صيغ مختلفة بحسب الميول الفنية السائدة في وقت زخرفتها [2].

وعند الاطلاع على العديد من البحوث والدراسات المتعلقة بالمساجد العتيقة في ليبيا وحسب ما أوردته موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، ففي الجزء الأول[3] ذكرت (73) مسجدا وفي الجزء الثاني[4] ذكرت (36) مسجدا ، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض المساجد لا توجد بها زخارف ، أما تلك التي توجد بها فإن الموسوعة لم تشير إلى أي مدلول لهذه الزخارف إلا بوصفها، فمثلا : في الجزء الأول ص 157" إطار مستطيل حول المدخل وأعلاه أشكال هندسية مقلوبة من المثلثات والحزوز الملتوية وهي بارزة في منتصفه وفي قمته شكل هلال ".

وفي ص 177" ركزت زخارف الزاوية على إطار المحراب وهي دوائر مستديرة غائرة وكذلك زخارف في الإطار بين العقود وتمثل أشكالا هندسية معينات ومربعات ودوائر بشكل بارز" .

أما في الجـــزء الثاني نقتطف منه بعض العبارات حول الزخارف بالمساجد العتيقة في جبل نفوسة ، ففي ص: 18" في جبل نفوسة توجد بعض المساجد تحمل بعض العناصر الزخرفية منها تلك الزخارف الكتابية الموضوعة على أرضية مزهرة بالحليات البارزة ، والزخارف في الجبس أو زخرفة عنصر الكف المطبوعة على الجبس " ، وفي ص : 92 " زخـــارف " قوامـــها عناصر هندسية وأشكال نجميه وخطوط متقاطعة أو متشعبة بالإضافة إلى بعض الزخارف النباتية المحورة ".

هذه بعض النماذج من وصف الزخارف بالمساجد العتيقة بدون التطرق إلى مدلولها ، ولماذا وضعت هذه الزخارف ؟ وما الهدف منها ؟

ربما عدم التطـــرق إلى هذه المدلولات أدّى إلى الاتجاه إلى طمسها بحجج كثيرة لعلّ ما هو ظاهر على السطح بأن هذه الزخارف وثنية ، ولا يجوز إقامة الصـــلاة في مكان توجد به هذه الزخارف ، مما أدّى إلى تخريب هذه الزخـــارف في العديد من المساجد ، ولعلّ ما حدث لمسجد أولاد علي العتيق أكبر دليل على ذلك .

وعندما قام الباحث بمحاولة الحصول على مراجـــع توضح مدلول هذه الـــزخارف لم يتمكّن من الحصول إلا على إشارات قليلة تفتقر للتوضيـــح ، لذلك كان الاتجاه

إلى الذاكـــرة الشعبية لمحاولة فهـم مدلول هـــذه الزخارف ، وبالتالي تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالـــي : ما الزخارف ومدلولاتها الشعبية بمسجد الحلالبة العتيـــق ؟

تســـــاؤلات البحـــث :

انطلاقا من سؤال المشكلة الرئيس تنبثق عدة أسئلة فرعيـــة ، وهـــي :
أين يقع مسجد الحلالبـــة العتيق؟ ، وما هي أنواع الزخارف الموجودة بمسجد الحلالبة التعتيق؟، وما هي مدلولات الزخارف من خلال الرواية الشعبية ؟

أهـــداف البحث :

يهدف البحث على التعرف عن كل من :
1- موقع مسجد الحلالبة العتيق .
2- أنواع الزخارف الموجودة بمسجد الحلالبة العتيق .
3- مدلولات الزخارف من خـــلال الرواية الشعبية .

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى الجوانب الآتيـــة :
1- التعريف بمسجد الحلالبة العتيق من حيث موقعه وقيمته التاريخية والفنية للمحافظة عليه ؛ لأنه يعتبر ذاكرة المنطقة وخصوصا بعد طمس زخارف مسجد أولاد على العتيق .
2- أول محاولة على حـد علم الباحث تقـوم بتفسير الزخارف بمسجد الحلالبة العتيق وإسقاطها على بقية الزخارف المشابهة في المساجد الأخـرى .
3- فهم مدلولات الزخارف وحقيقتها وأهدافها وأنواعها يـؤدّي إلـى معرفتها وبالتالي تصحح تلك الأفكار الخاطئة نحوها .
4- قد يسهـم هذا البحث في إقامة بحوث مماثلة على الزخـارف في المساجد العتيقة ومقارنتها لمعرفة تطـور المجتمعات المادية والمعنوية عبر السنيين ومـدى الاتفاق أو الاختلاف بين المكونات المجتمعية .

حـــدود البحث:

الحدود الموضوعيـــة : زخارف مسجد الحلالبة العتيق ومدلولاتها الشعبية .
الحدود المكانيـــــة : الرياينة ـ بلدة أولاد علي ـ مسجد الحلالبـــة العتيق
الحدود الزمانيـــــة : 1254هـ / 1838م

مصطلحـــات البحـــث :

البحث يحمل عنوان (زخارف مسجد الحلالبة العتيق ومدلولاتها الشعبية) ، وبالتالي تناول المصطلحات الآتيـــة :

الـزّخـــــارف ـ المفهوم الاصطلاحـــي : زخـرفة المساحة : " تعنـــي : في الحقيقة تكســـية هذه المساحة برسومات بغية تزيينها"[5] .

المفهوم الإجرائـــي : أن الزخارف تعنـي: تلك الخطوط والإشكال والرسومات البارزة بمسجد الحلالبة العتيـــق .

المســـــجد ـ المفهـــوم الاصطلاحـــيّ : المســـاجد هي أماكن عبادة الله بالسجود والركوع والعبادة فيه ؛ لأنها ما بنيت إلا للعبادة ، وهي عبادة الله الواحـد الأحـــد ، قال – تعالى- : (**إِنَّمَا يَعْمُـرُ مَسَـــاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَـــامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُـــوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)** [6] الذين لديهم الأحقية بعمارة المساجد هم من اتصـــفوا بالإيمان بالله صدقا وحقا وباليوم الآخـــر تصديقا وإذعانا وأقام الصـــلاة كاملة غير منقوصة ، وأداء الزكاة لمستحقيها راضية بها نفسه ولم يخاف إلا الله الواحد الأحـد فأمتلئ قلبه بالإيمان ، وتعلّق بحب الله - عز وجل- [7].

المفهـــوم الإجرائـــي : بقصد بالمسجد في هذا البحث ذلك المكان الذي تم بناءه من قبل أهالـــي الحلالبة ليكون مسجدا لإقامة شعائر الدّيـــن الإسلامـــي وعبادة الله الواحد الأحـــد.

الحلالبـــــة ـ المفهوم الاصطلاحـــي : هم عائلة من عائلات قبيلة أولاد علـــيّ وهي - قبيلة- من قبائل الرياينة [8]

المفهوم الإجرائـــي : الحلالبة هي تلك العائلة التي تتكون من عدة لحمات : أبناء عبد القادر ، أبناء عبد القادر الشيباني ، أبناء منصور الصغير ، أبناء خليفة ، المزاوغة ، الضبوعة ، أولادعبيد ، الرواشدية (القشاشطة) ، الشليكات) [9] الذين قاموا ببناء المسجد وحافظوا عليه طيلة عقود مضت .

العتيـــــق ـ المفهوم الاصطلاحي : العتـــق في اللغة : الشيء من باب ظرف ، أي : قدم وصار عتيقا [10]

المفهوم الإجرائـــــي : يقصد بالعتيق قدم المسجد نوعا ما من الناحية الزمنية ؛ لأن عمره يقارب (182) عام ، وكذلك تميزا له عن مسجد الحلالبة الحديث .

مدلولاتـــها ــ المفهوم الاصطلاحـــي : دراســـة معاني الكلام من الناحية الوصفية في لغة من اللغات في فترة من فترات استعمالها في مكان محدود ، ويدرس من الناحية التطويرية تغيّر معاني الكلام في لغة من اللغات من عصر إلى عصر في مراحـــل تاريخها[11].

المفهـــوم الإجرائـــــي : يقصد الباحث بالمدلولات تلك المفاهيم والمعاني الوصفية التي يستخدمها الأهالي في تفسير الزخارف بالمسجد وفق لغتهم واتجاهاتهم .

الشعبيـــــة ــ المفهوم الاصطلاحي : مجموعـــة من الأفراد تجمعهم ثقافة مشتركة تستند إلى وحدة الأهل أو اللغة أو الدين ويربط بينهم تاريخ وتراث اجتماعي ومصالح اقتصادية ويعيشون على أرض واحدة ويعملون على دوام هذه الـــروابط[12].

المفهوم الإجرائـــــي : بقصد بالشعبية مجموعـــة الأفـــراد في بلدة أولاد عليّ الذين يعيشون في مدينة الرياينة وتربطهم ثقافة مشتركة وتراث اجتماعي وروابط وصلة دم بينهم جميعا ، وبالتالي وحدة اللغة والدين والمصالح المشتركة ، وحياتهم المعيشية المتشابهة على هذه الأرض أكدت الروابط الاجتماعية بينهم ، مما أنعكس على وجهات نظـــرهم في تفسير الزخارف بمسجد الحلالبة العتيق .

المبحث الأول ـ المســـــجد موقعـــه ووصفـــــه :

أ- **الموقـــــع :** يقـــع المسجد في مدينة الرياينة ببلدة أولاد عليّ في جـــوار بيوت عائلة الحلالبة ، وهو مقام على حافة الجبل المطلة على منطقة الكاف والخشة إلى الجهة الشمالية من المساكن ، وهي من ضمن أربع لحمات تضمها قبيلة أولاد عليّ (الحلالبة ، القوائدة ، المغاربة ، المنعة) [13]، يحـــده من الشرق حافة الجبل ، ومن الشمال المنحدر نحو الوادي العميـــق ، ومن الغرب شارع ضيق يمـــر بوسط مساكن العائلة ، أما من الجهة الجنوبية فهي بقايا قصر الحلالبة القديم المعروف (بقصر الصياح) .

ب- **وصف المســـــجد :** مسجد الحلالبة يعتبر من العمائر الدينية التي تتصف بطابع معماري شعبي ، و" تدل هذه العمائر على البساطة في التصميم والتخطيط والتنفيذ" [14] ، وبالتالي فالمسجد عبارة عن شكل مستطيل غير منتظم يتكون من مجموعة حجرات وساحات وبيت الصلاة ، ويمكن وصف كل منهم من خلال الأرقام التي وردت في المخطط التالي :

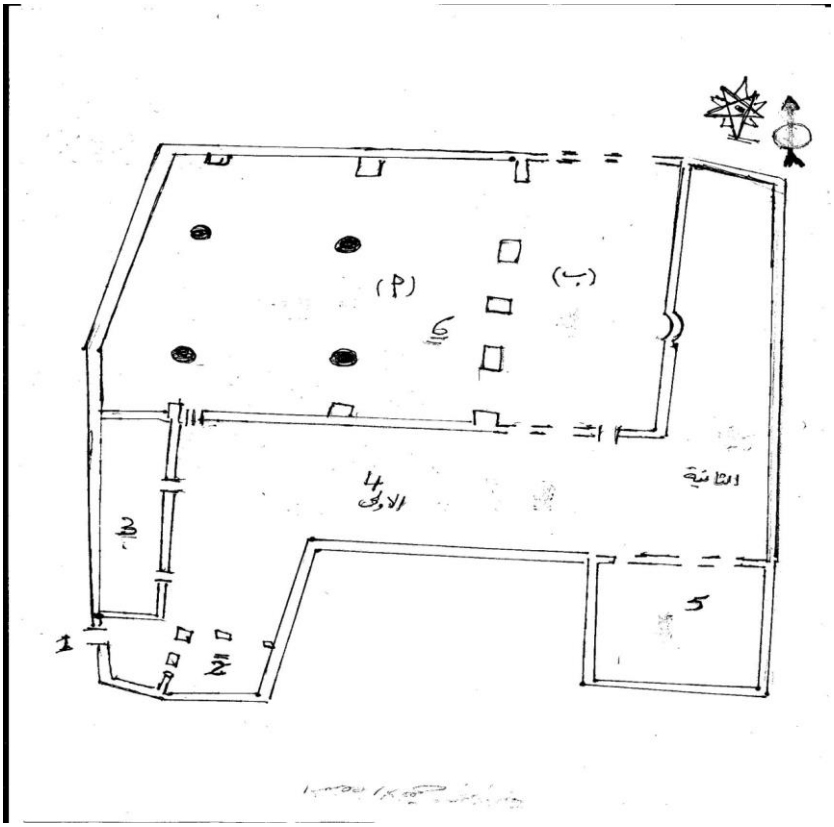

رقـــم 1: **مـــدخل المســـجد:** فهو يفتح في الجهة الغربية علـــى الشارع الرئيس للمساكن ويفتح في هذا الاتجاه ؛ نظرا ؛ لأن المسجد في الجهة الشرقية على حافة الجبل، وكان المدخل في الماضي عبارة عن باب مصـــنوع من خشب أشجار النخيل مثبتة عن طريق أوتاد من شجر الزيتون وفي عقد الثمانينات من القـــرن الماضي تم تغييره بباب من الحديد ومساحته 1.10متر عـــرض و1.50 متر ارتفاع .

رقـــم 2 : **حجـــرة تحفـــيظ القـــرآن الكريم** : فهـــي تقع بعد مدخل المسجد مباشرة ومساحتها من الشمال إلى الجنوب 1.30 متر وطولها من الشرق إلى الغرب 3.10 متر وتجمع الروايات بأنها كانت إحدى حجرات قصر الحلالبة القديم (قصر الصياح) ، وتم التبرع بها إلى المسجد وأصبحت في العقود الأخـــيرة تستخدم في تحفيظ القرآن الكريم ، وخاصة للأطفال المبتدئين ؛ نظرا لصغر مساحتها.

رقـــــم3 : **غـــرفة الإمـــام القديمـــة** : فهـــي تقع إلى اليسار من باب المسجد تفتح في فسحة داخلية وتبلغ مساحة هذه الحجـــرة 2.70 متر من الشرق إلى الغرب ، وطولها من الشمال إلى الجنوب خمسة 5 أمتار ، وهـــي مسقوفة بجذوع أشجار الزيتون ومغطى بالحجارة والتراب وحوائطها من الصخور ومادة الجبس ، وتذهب الرواية إلى أن بنائها تـم في أوائل الخمسينات من القـــرن الماضي ، وأضيف إليها محارب وإقامة صلاة الجماعة عند توسعة محراب بيت الصلاة في ستينات القـــرن الماضي، ثم استخدمت في تحفيظ القرآن الكريم وغـــرفة اجتماعات واستراحة للضيوف بعد بناء غرفة للإمام في الجهة الشرقية من المسجد قي أواخـــر الستينات من القرن الماضي ثم تم إسقاط هذا المحراب في ثمانينات القرن الماضي .

رقـــــم 4 : **الســـاحـــات :** توجـــد بالمسجد ساحتان متصلتان .

الأولـــى : أمام بيت الصلاة وبعد دخول المسجد ، وهي متصلة مع الساحة الشرقية ؛ نظرا لظروف الموقع الصخرية وتوجد بها الآن شجيرة النخيل التي تم غرسها من قبل الإمام أمحمد الحضـــيري في سنة 1947م وهي لا تـــزال تقاوم عـــوادي الزمن ، وكانت تسقى بالمياه المتأتية من غسيل ألواح التلاميذ عندما يحفظون ســـور القرآن الكريم وهي التي يفتح بها باب بيت الصلاة من خـــلال الباب القديم المغلق في جهتها الغربية ويفتح فيها باب الصلاة الحديث في جهتها الشرقية ، ومساحة هذه الفسحة من الشمال إلى الجنوب 5.30 متر ومن الشرق إلى الغرب 3.70 متر .

الثانيـــة : فهي الساحة الشرقية المطلة على حافة الجبل ، وهي متصلة مع الساحة الأولى ويبرز فيها المحراب ودرجات تعلوه لغرض صعود المؤذن للمناداة إلى الصـــلاة وتفتح فيها غرفـــة الإمام الحديثة نوعا ما ، مساحتها من الشمال إلى الجنوب 4.60 متر ومـــن الشرق إلى الغرب 3.00 متر ، وكان الحائط الشرقي لهذه الساحة عبارة عن صخور مرتبة على بعضها إلى ثمانينات القـــرن الماضي عندما تم بنائها بالإسمنت بارتفاع بسيط لا يزيد عن 40 ســـم .

رقـــــم 5: **غرفـــــة الإمـــام الحديثـــة :** تـــم بناء هذه الغرفة في أواخـــر ستينات القرن الماضي ، وهـــي مبنية من الصخور ومادة الإسمنت ومصقولة جيدا ومسقوفة بعوارض حديدية وطوب الأجر (وهو ساقط الآن) ، ومساحتها من الشمال إلى الجنوب 5.00 متر وعرضها من الشرق إلى الغرب 3.90 متر ، واستخدمت لإقامـــة إمام المســـجد .

رقـــم 6 : **بيت الصـــــلاة :** يمكن تقسيم بيت الصلاة بمسجد الحلالبة العتيق إلى قسمين رئيسين هما :

القســـم الأول (أ) : بيت الصلاة قبل التوسعة : فهو شبه مستطيل إلا انحناء قليل في الجهة الشمالية في الحائط الغربي ، ويقوم على أربـــع أعمدة دائرية تذهب بعض الروايات بأنها أعمدة رومانية جلبت من منطقة (مسيد خروف) ، والتي يعتقد بأنها كانت كنيسة رومانيـــة [15] بإضافة إلى أربـــع أكتاف تحمل السقف البرميلي في ثلاث أروقـــة (فراغات) بحيث يوجد بين العمودين الدائرين والحائط الغربي رواق (يسمي محليا طلقة) وبين الأعمدة الدائرية الأربع رواق وما بين الأعمدة الدائرية الوسطى والحائط الشرقي الذي كان به المحراب القديم رواق ، ولكن بعد التوسعة أصبح الحائط الشرقي عبارة عن أكتاف غير متساوية على شكل أربعة مستطيلات تحمل السقف ومربوط بها سقف التوسعة ، ومساحة هذا القسم الكلية من الشرق إلى الغرب 4.65 متر ومن الشمال إلى الجنوب 5.37 متر ، ويوجد به الباب القديم الذي يتضح بأنه مقفل نهائيا ، وفي الجزء العلوي نافذة صغيرة مستطيلة مساحتها 50 سم عرض و30 سم ارتفاع ، و- أيضا - توجد نافذة في الجهة الشمالية يتضح بأنها حديثة نسبيا عرضها 40 سم وارتفاعها 45 سم ، وأما السقف في هذا القسم مبني بالجبس على شكل كمرات في الأروقـــة الثلاث ، وكذلك توجد به مجموعة كوات في الحائط الجنوبي الداخلي وما بين الأقواس ، وهي عبارة عن " فراغات تحفر في الجدران وتستعمل لوضع أدوات ذات منفعة ولها شكل مربـــع..."[16]

ومن خـــلال هذا الوصف يتضح بأنه يميل إلى الطراز " الإسباني المغربي حيث يستخدم هذا النـــوع العقود على هيئة حدوة الفرس ويستخدم الدعائم المبنية من الآجـــر عوضا عن الأعمدة مما يكسب الأبنية هيبة وجلالا "[17].

القســـم الثاني (ب) : بيت الصلاة وتوسعة المحراب: المحراب في المسجد عبارة عن "حنية تبين اتجاه الكعبـــة "[18] ، ويعتبر المحراب من أساسيات المساجد ، فلا يوجد مسجد بدون محراب ؛ لذلك غالبا ما يتم الاهتمام به من حيث دقة موضعه في المسجد وزخرفته بالفن الإسلامي ، أما في مسجد الحلالبة العتيق تم توسعته إلى الجهة الشرقية وتذهب الروايات إلى أن هذه التوسعة حدثت في أوائل الستينات من القـــرن الماضي حيث تم زيادة المحراب إلى الإمام بمسافة 2.30 متر ، وهي مبنية بالصخور والاسمنت

وسقفه مسطح وبنفس عرض بيت الصلاة السابق من الشمال إلى الجنوب 5.37 متر، ويحتوى هذا القسم على العناصر الآتيـــة :

1- باب بيت الصلاة بعرض 70 ســم وارتفاع 1.80 سم ، وكان في السابق مصنوع من أشجار النخيل وفي ثمانينات القرن الماضي تم تغييره بباب من الحديد .

2- بعد الدخول من باب بيت الصلاة مباشرة في جهة القبلة درجات المنبر ، وهي عبارة عن ثلاث درجات بسيطة .

3- المحراب يقع في اتجاه القبلة بعرض 75 سم وعمق 65 سم وارتفاع 1.80 متر وبه كوة صغيرة تدخل أشعة الشمس بعـرض 25 سم وارتفاع 25 ســم .

مع ملاحظة بان المسجد لا توجد به مئذنة ؛ وإنما عبارة عن درجات من الناحية الشرقية تصعد على بروز المحراب ومنه إلى سقف المسجد حيث يدور المؤذن على سطحه عند إقامة الأذان وبطبيعة الحال فان صوته يسمع بدرجة كبيرة ؛ لأن المسجد نفسه مقام على حافة الجبل وهذا الطراز من مباني المساجد التي لا توجد بها مآذن موجود في ليبيا كما ذكر (كشبور) في بحثه حول المآذن القديمة بمدينة بنغازي إلى نوع ثان من المآذن وفيه " اقتصرت المئذنة على عنصر معماري واحد وهو السلم والذي يؤدي إلى سطح المسجد ومن هناك يرتفع صوت المؤذن مناديا للصلاة "[19]

المبحــث الثاني ــ الزَّخـــــارف ومـــــدلولاتها:

الزّخارف في مفهــومها العام تكسية المساحات برسومات وخطوط وأشكال هندسية بغية تزيينها ، ويتجلى ذلك في ميل الفنانين المسلمين إلى تغطية المساحات وهروبهم من تركها بدون زينة أو زخرفة ، وما يلفت النظر في العمائر الإسلامية ازدحام الزخرفة وكثرتها واتصالها حتى تغطي المساحة كلها [20] ، وما يميز الفــن الإسلامي " إتقان أنواع من الزخرفة بعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية أو تصويرها فأبدعوا في الرسوم الهندسية واتخذوا من العناصر النباتية زخارف"[21] ، وهو ما نجـــده في مسجد الحلالبة العتيق بحيث في كل سقف بيت الصلاة الذي تم بنائه عام 1254هـــ سنة (1838م تقريبا) لا يـوجد مكان أو مساحة غير مزخرفة بخطوط وأشكال هندسية وأغصان نباتية ..الــخ بإضافة إلى أقواس وسقف حجرة تحفيظ القرآن الكريم التي كانت جــزء من قصر الحلالبة القديم ، وجميع هذه الزخارف متدلية أو بارزة في الأقــواس والأسقف الكامورية (البرميلية) ، ومن المعلوم في طريقة بناء هذا النـــوع من الأسقف ساعدت على زخرفتها بطريقة سهلة ، فقد كان يحدد المكان

المراد البناء فيه ثم عن طريق الصخور والجبس تم بنا أساسات متقابلة ويوضع كيس مملوء بالتبن أو القش حسب حجم القوس أو السقف ثم يغطي بطبقة من التراب (الطين) المعد لذلك، ويتم زخرفته بوضح الخطوط أو الأسماء أو الأرقام أو وضع الأيدي ...الخ، وتوضع طبقة من الجبس وعندما يجف تماما يسحب الكيس والتراب فيبقى القوس أو السقف معلق وتبرز تلك الزخارف متدلية [22] مع العلم بأن مادة الجبس المستخدمة في هذا النوع من البناء ليس الجبس الناعم الذي يستخدم في التزيين الخارجي " الذي يضفي نوعا من الجمال والروعة على المباني"[23] ؛ وإنما هو مادة تصنع في المنطقة ويكون خشن لتحمل الثقل وعوامل الطبيعة من رياح وأمطار ..الخ [24]

والزّخارف بمسجد الحلالبة العتيق يمكن تقسيمها حسب الرواية الشعبية إلى أربعة عناصر رئيسية : زخارف خطية ، وزخارف مرتبطة بالتفاؤل وجلب الخير ، وزخارف مرتبطة بطرد العين وأبعاد الشر ، وزخارف جمالية عامة .

أولا ــ الزخارف الخطية : الزّخرفة الإسلامية استخدمت الخط العربي المؤلف من تلك الخطوط النحيفة الأنيقة والتي تلائم شتى ضروب التشابك وأروعها [25]، ولعل أول الخطوط استخداما هي آية : (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ، فهي موجودة في سقف الرواق الأول مع الأخذ في الاعتبار مدخل بيت الصلاة الحالي بعد التوسعة ، ومن المتعارف عليه بأنّ المصلين في البلدة كثيرا ما يلتزمون بهذه العادات عند قدومهم إلى المسجد ، من حيث مظاهر نظافة الثياب والسير في حالة سكون والدخول بالقدم اليمنى وعدم التحدث داخل المسجد في أمور الدنيا ، وبالتالي (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ، تعتبر من أصدق مكنونات هولا المصلين لحصول البركة بالمسجد ، فكان الدعاء المشهور للداخل للمسجد (بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله من فوقى ، بسم الله من جميع جوانبي) ، ويبدأ يردد في هذا الدعاء وغيره إلى أن يصعد الإمام على المنبر إذا كان يوم جمعة، والشكل رقم 1- أ-1 يبين هذه العبارة في الرواق الأمامي أما الجزء الأخير ممسوح بسبب الصيانة :

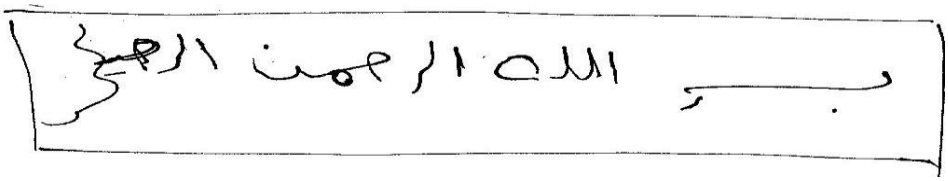

(الشكل رقم 1- أ-1)

بإضافة إلى الشكل رقم 1- أ – 2 الذي يوضح هذه العبارة في القوس الشمالي في الرواق الداخلي:

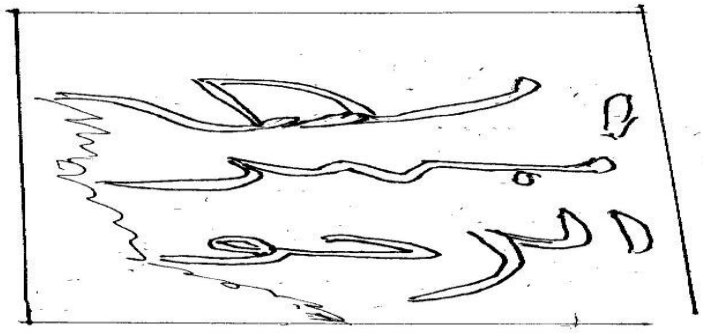

(الشكل رقم1- أ-2)

هذا بالإضافة إلى بعض الخطوط الغير واضحة بسبب الصيانة في أعـلى أجزاء السقف وخاصة في سقف الرواق الداخلي جهة الشمال وتبرز فيها بعض الأحرف مثل (م) أو ال(س) التي ربما كانت محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

توجد خطوط الأرقـام فهي تمثل تاريخ بناء المسجد ؛ لأنها موجودة في القوسين الداخليين وهما من أساسات المسجد لذلك تعطي دلالة لا يرقى إليها شك بأنها السنة التي تم فيها بناء المسجد ، وإن كانت خطوط كتابته مقلوبة ففي القوس الجنوبي يوجد رقم (2) ، ورقم(3) ، ورقم (5) بينما رقم (4) محطم ، أما التاريخ الواضـح فهو في القوس الأوسط من الرواق الداخلي ومقلوب بسبب خطه من أعلى التراب (الطين) بشكل صحيح ، وعندما أزيل التراب ظهر بشكل بارز مقلوب ، والشكل رقم 1- ب يوضـح هذا التاريخ :

(الشكل رقم 1-ب)

ولقراءة هذا التاريخ بصورة صحيحة يمكن اخـذ قطعة زجاج واكتب عليها التاريخ واقلب قطعة الزجاج فسوف تجد التاريخ مكتوب بطريقة مقلوبة وهو ما حدث مع كتابة تاريخ المسجد ، وبالتالي فان هذا التاريخ (1254هـ- 1838م) يعود إلى بدايات العهد العثماني الثاني ، أي : في "عهد الوالي علـيّ عسكر باشا الذي تولى

في سبتمبر عام 1838- شهر يوليو عام 1842م عندما استدعي إلى اسطنبول ووصول محمد أمين باشا إلى طرابلس ليحل محلـــه "[26].

وكذلك توجد خطوط الأسماء مكتوبة في جميع أجـــزاء المسجد ، وهو اسم عليّ بن سالم ، حيث يوجد في أثناء عشر مكانا في الأقواس والحيطان وأسقف الأروقة وأكثر بروزا مكتوب في وسط مستطيل تعلوه ثلاث مثلثات أحداها في سقف الرواق الأول والثانية في الحائط الغربي لبيت الصلاة في الناحية الشمالية حيث مكتوب (صطا على بن سالم) في وسط مستطيل به ثلاث مثلثات في الأوسط كف يد ، فهذا التكرار وهذا التميز المزخرف به الاسم يعطي دلالة على أن عليّ بن سالم هذا له دورا في بناء المسجد والشكل رقم 1- ج يوضح اسم عليّ بن سالم الذي خارج المستطيلات :

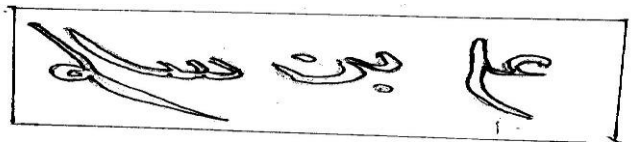

(الشكل : 1- ج)

والاسم الآخر الأكثر تكرارا هو مسعود بن محمد حيث يوجـــد في الرواق الأوسط من الجهة الشمالية وفي سقفها خارج المستطيل الموجود به اسم علي بن سالم وفي سقف الجهة الغربية للرواق الثاني شمال المستطيل الذي به اسم علي بن سالم، فهذا الاقتراب في مواضع الأسماء لكليهما يعطي الانطباع بأن لهما دورا في تشييد هذا المسجد والشكل رقم 1- د يبين اسم مسعود بن محمد :

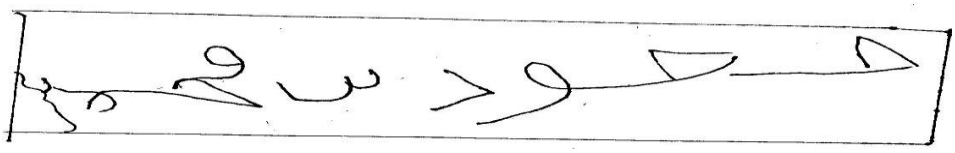

(شكل رقم1- د)

بإضافة إلى وجود أحـــرف لأسماء غير واضحة بسبب الصيانة ويلاحظ أن بعضها بارزة بشكل مقلوب وخاصة في سقف الرواق الأول الجهة الغربية من الناحية الجنوبية .

وكذلك توجد بعض النقط والخطوط فعند مقارنتها باللغة التفيناغ (الأمازيغية) نجد هناك بعض التقارب مثل الشكل 1-هـ ، الشكل 1- و:

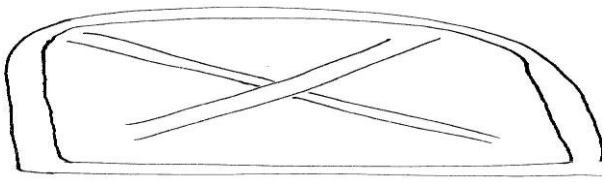

(الشكل 1- هـ)

فهذا الشكل (1- هـ) يوجد في الأقواس ، وكذلك في قوس حجرة تحفيظ القرآن التي كانت جزء من القصر ، والشكل (1- و) يوجد في قوس حجرة تحفيظ القرآن التي كانت جزء من القصر :

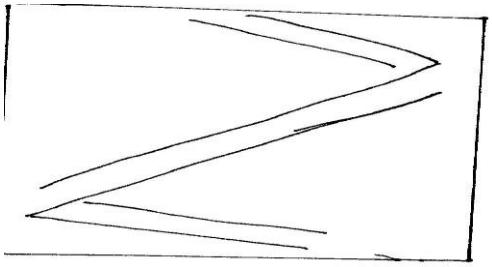

(الشكل 1- و)

والشكلان (1- ز ، 1- ح) اللذان يبينان نقاط ويوجد الشكل (1 – ز) في الرواق الأوسط والشكل (1 –ح) في الحائط الغربي :

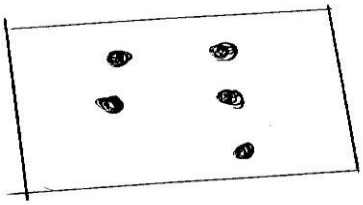

(الشكل 1- ز)

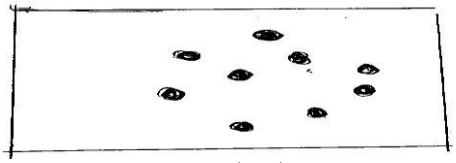

(الشكل 1- ح)

فهذه النقاط والخطوط المتوازية إن لم تكون زخارف عامة ، فربما هـــي أحرف لغة التفيناغ [27] مما يعطي إشارة إلى أن الأسطى- العامل - الذي قام بعملية البناء امـــازيغي (اجبالي) وكثيرا ما يتردد في الروايات الشعبية ببلدة أولاد علي أولئك الجبالية (الأمازيغ) الذين يقومون بعملية البناء في البلدة .

ثانيا ــ الزخـــارف المرتبطة بالتفـــاؤل وجلب الخـــير : تعددت الزخارف المرتبطة بالتفاؤل وجلب الخير منها النباتية والحيوانات والمياه ، وهو ما يتماشى بما " عرف عليه الفن الإسلامي في شتى أنواع الزخرفة فكانت الهندسية والنباتية وغيرهما ، وكانوا يمزجون بينها وبين الكتابة، فتكون متداخلة مع بعضها فتؤلف تحفة فنية رائعة "[28] مع ملاحظة أن أشكال الطيور والحيوانات كانت الإشارات إليها رمزية وليست تجسيدا حيا وهو ما يتفق مع" العمائر الدينية الإسلامية وكل ما يتصل بها من أثاث وكذلك المصاحف خلت في زخرفها من رسوم الكائنات الحية "[29].

أ- الزخـــارف النباتيـــة : تتمثل زخرفة نبات الـــزرع (الشعير أو القمح) وخاصة نبات الشعير يعتبر من أساسيات الحياة الغذائية ببلدة أولاد عليّ (والجبل الغربي بصفة عامة) نظرا لأنهم في السنوات المطيرة يحصلون على ثلاثة مواسم حصاد الأول في سهل الجفارة حيث اشتداد درجة الحـــرارة بها تؤدّي إلى جفاف الزرع بسرعة ، والثاني في منطقة الظاهر على سطح الجبل وما به من ارتفاع على مستوى سطح البحر يؤدّي إلى جفاف الزرع بعد سهل الجفارة ، والثالث في منطقة المرموثة في الجنوب على إطراف الصحراء ونظرا لوجود الأودية الجافة وترسبات التربة الطينية و الرملية التي تجرى مياهها عقب سقوط الأمطار على جبل نفوسة [30] تؤخر جفاف الزرع إلى ما بعد حصاد زرع الظاهر أو سطح الجبل ، ولذلك يعتبر هذا النبات مهم لحياة ساكني البلدة ، وبلغ التقدير لهذا النبات أن ينثر على الطفل أثناء الختان وكذلك ينثر خلف العروس عند خروجها من بيت أبيها من باب التفاؤل والخير والشكل (2- أ) يبين هذا النبات وهو موجود في الأقواس الوسطى وسقف الرواق الأول وفي القوس الجنوبي وسقف الرواق الثالث:

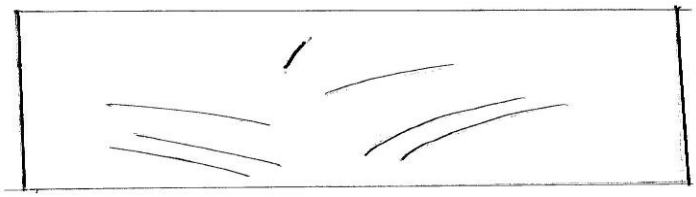

(الشكل 2 – أ)

والشكل 2- ب موجود في الأقواس وفي سقف الرواق الأوسط:

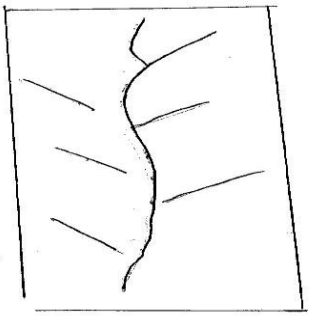

الشكل 2 – ب

والشكل رقم 2-ج موجود في القوس الصغير الأمامي :

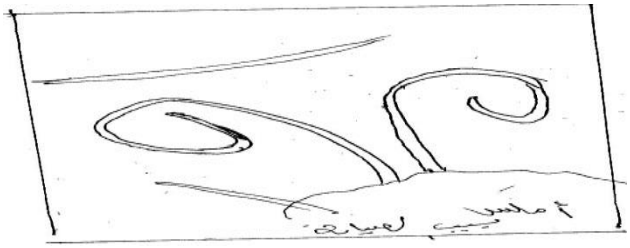

(الشكل 2- ج)

ب: زخـــــارف الطيور والحيوانـــــات : ظهرت هذه الزخارف في عدة أماكن من المسجد أهمها :

1- **زخـــــارف الطـــــيور ـ** طيور السنونو : توجد خطوط في الأقواس وسقف الرواق الأوسط وكذلك في المستطيل الذي به اسم عليّ بن سالم ويطلق عليه في اللهجة المحلية (الخطيف) ، فهذا الطائر المهاجر من الشمال عادة يتفاءل به الناس؛ لأنه يأتي في فصل الخريف وبالتالي تتساقط الأمطار بأذن الله ومن المعروف عن هذا الطائر أنه " يعيش في فصل الصيف في نصف الكـــرة الشمالي وعند حلول فصل الشتاء تهاجر إلى الجنوب -المنطقة الاستوائية - لقضاء فصل الشتاء"[31] ، ويأتي بمجموعات كبيرة ، ويُتفاءل به لمعرفة قدوم فصل الخريف وتساقط الأمطار، ومـــن المعروف أن البلدة وغيرها من بلدات الجبل الغربي تقوم على الزّراعة المعتمدة على تساقط الأمطار ، وهي التي تعرف بالزراعة البعلية ، قال - تعـالى - : **(هُوَ الَّـــذِي أَنْـــزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَـــرَابٌ وَمِنـــهُ شَـــجَرٌ فِيـــهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ**

لَكُـــمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَـــرَاتِ إِنَّ فِـــي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَـــوْمٍ يَتَفَكَّـــرُونَ) [32] .

والشكل رقم 3 – أ -1 يبين خطوط طائر السنونو :

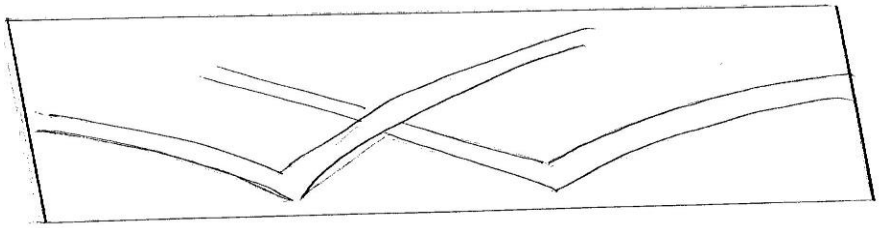

(الشكل3- أ-1)

والشكل (3 – أ -2) يبين صورة لطائر السنونو المهاجر (مع العلم بأن هذه الصورة غير موجـــودة بالمسجد) :

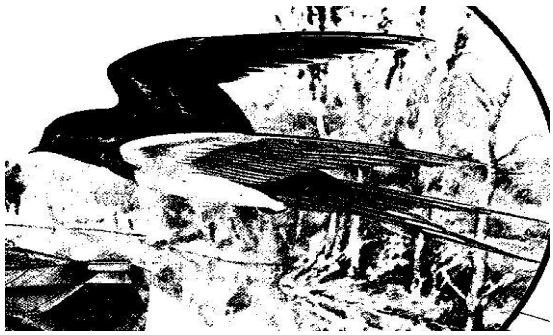

(الشكل 3 – أ -2)

2- **الحيـــوانـــات :** توجد إشارة إلـــى حيوان الإبل متضمنا قمتـــه (ذروة – سنام) ؛ لأن هذا الحيوان يتفاعل به كثيرا ، وخاصة في هذه الزخرفة التي حملت ثلاث اتجاهات . الأولى : ذروة الجمل ، والثانية : نبات الزرع ، والثالثة : محـــراث الأرض فمن خـــلال هذه الإشارة تعتبر قمة التفاؤل فالجمل من الحيوانات العجيبة ، قال - تعالى - : **(أَفـــلَا يَنْظُـــرُونَ إِلَى الْإِبِـــلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)** [33] ، فالجمل حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ، ينهض بالحمل الثقيل ، ويبرك به ، وتمسك بزمامه تؤديه حيث شاءت [شئت]، وربما يصبر عن الماء عشرة أيام ، ويصبر عن العلف ثلاثة أيام " [34] ، ولعل أشهر صفاته الصبر والتحمل ، ونقل الأثقال وحراثة الأرض وغيرها من الأعمال الشاقة لذلك يتفاعل به كثيرا ، وأصبحت الإشارة إلى ذروته في الكثير من الـــزخرفة بالمسجد ، والشكل التالي رقم 3- ب يبين ذروة الجمل ونبات الزرع وساق

المحراث ، وهو ما يطمح إليه الناس في تلك الفترة من وفرة الخير ، وهذا الشكل يوجد في الرواق الأول من الجهة الشرقية :

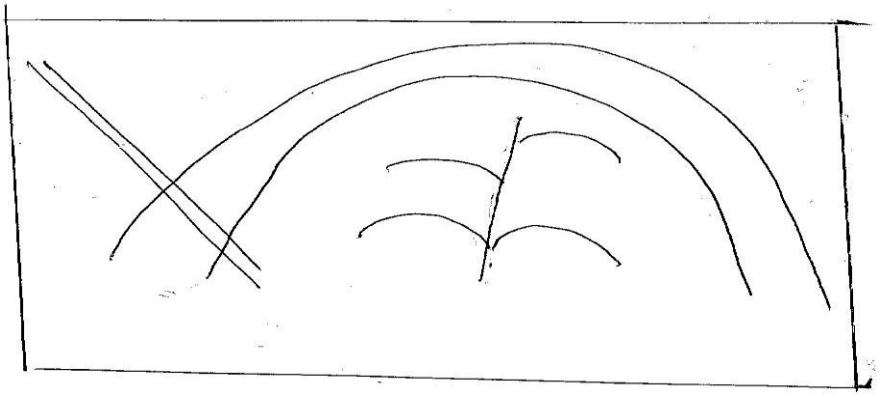

(الشكل 3- ب)

ج- **زخـــــارف المياه :**

1- **تساقط الأمطـــــار أو الثلـــــوج :** أن التفاؤل بالمطر والثلوج من العادات المتوارثة في المنطقة ، وخاصة في العام الذي تتساقط فيه الثلوج ، يقال : بأنه عام خير، لأن الثلوج المتراكمة فــوق التلال تجعل المياه تنساب في العيون والجداول، وتستمر المياه تخرج من أماكن معلومة ، وهو ما يعرف في اللهجة المحلية (اللثمد مفردها ثماد) إلى فترات متأخرة من شهور الصيف ، والشكل (رقم 4 – أ): يبين غزارة المطر أو تساقط الثلوج وهو موجود في الأقواس وسقف الرواق الأوسط :

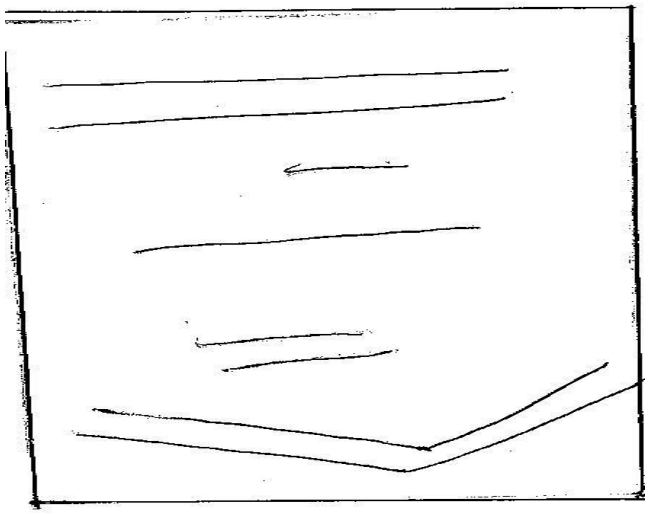

(الشكل 4- ا)

2-**الأوديـــــة:** تكاد توجد زخرفـــة الأودية في كل أسقف الأروقة الثلاث في شكل إطار سفلي إلا في بعض الأماكن التي تم طمسها بسبب الصيانة ، وتتخلل تعريجات الأودية نباتات بأغصان أبرية تعلوها في قمتها سيقان ملتوية على شكل دوائر على اليمين والشمال ، ومن المعلوم بأن الأهالي ينظرون إلى جريان الماء في الأودية بأنه فال خير ومستقبل وفير لأن سيلان الأودية ببلدة أولاد علي سوف تسقي الأراضي بسهل الجفارة والتي تمتاز بتربتها الجيدة وزرعها الوفير ، وخاصة وادي السكفل المشهور، والشكل رقم 4 – ب : يوضح الأودية :

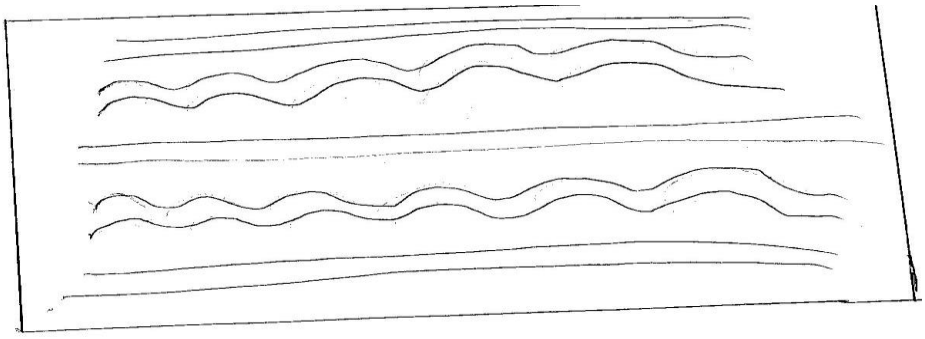

(الشكل 4- ب)

3-**غربـــــال الزيتـــــون :** من المتداول لدى الأهالي قيمة الغربال بصفة عامة فكان لا يخلو تجهيز بيت من الغربال ، ومن أهم الأدوات التي تحملها العروس من بيت أبيها هو الغربال بحيث يعلق بشكل واضح على ظهر الجمل الذي يحمل أدوات العـــروس أو تحمله قريبة العروس فوق رأسها ، لما له من قيمة مادية ومعنوية ، ولعل غربال الزيتون له نفس القيمة عند الأهالي ببلدة أولاد علي، فهذا الغربال عادة ما يصنع بشكل مستطيل من جريد النخيل ، وبالتالي يستخدم في تنظيف محصول الزيتون من الأوراق والأغصان والأتربة ؛ لأن من عادة الأهالي في جني ثمار الزيتون لا يجنونه من أغصان الشجرة وإنما يترك ليسقط لوحده على الأرض ثم يقوموا بمسح حبات الزيتون المتساقطة تحت الشجرة ، وبطبيعة الحال هذه العملية تؤدي إلى وجود الأتربة والقش وأغصان وأوراق الشجرة، وبالتالي يتم وضع الزيتون وما به من الأشياء السالف ذكرها في حوض به مياه ويأتوا بهذا الغربال في المرحلة الأولى تسكب كمية من المياه لدرجة غمر كل حبوب الزيتون أسفل الماء، وهذه العملية تؤدّي إلى طفو القش والأوراق على سطح الماء ويتم سحبها عن طريق الغربال ، وتبقى حبوب الزيتون والأتربة في الحوض ، وفي المرحلة الثانية يتم سحب الزيتون ، وتبقي الأتربة في أسفل الحوض وبهذه

الطريقة يتم تنظيف الزيتون عن طريق هذا الغربال لذلك كان الاهتمام بهذا الغربال والتفاؤل به بدرجة كبيرة وخاصة لارتباطه بشجرة الزيتون التي تلعب دورا كبيرا في حياة الأهالي وتحيط بهم من جميع الجهات وأشهرها غابة الزيتون المعروفة (بغابة منزور) ، والشكل رقم 4- ج : يبين هذا الغربال وهو موجود في القوس الأوسط :

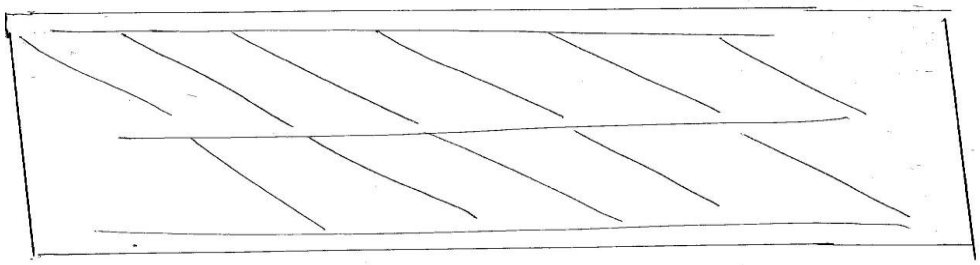

(الشكل4 – ج)

ثالثا ــ زخـــارف مرتبطة بطـــرد العين وإبعـــاد الشـــر : إن نظرة الأهالي إلى السحر والعين من الأشياء المتداولة عندهم بشكل كبير ، وإلى أوقات قريبة كثيرا ما تلاحظ وضـــع القرون على زوايا المنازل أو على قبعة الطفل الصغير أو تعليق تمائم في رقاب الحيوانات وخاصة الإبل وغيرها ، وذلك لطرد العين حتى أصبح من الأشياء المحببة للأهالي استحباب الرقية من العين ففي " حدِيثَ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَمَرَنِـــي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - , **أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَـــى مِنَ الْعـــَيْنِ**"[35]، ويرجع سبب العين ، " إذا نظر المعيان لشيء باستحسان مشوب بحسد يحصل للمنظور ضـــرر " [36] ، ولذلك تنوعت الزخارف المرتبطة بطرد العين وإبعاد الشر في مسجد الحلالبة العتيق ومنها كف اليد والنجمة السداسية (خاتم سليمان):

1- **كف اليد :** يوجد كف اليد في داخل بيت الصلاة في ستة عشر موضعا في الأقواس وأسقف الأروقة والحائط الغربي والجزء الجنوبي من الـرواق الأول ، وكذلك في المستطيل الذي يحمل اسم على بن سالم في الحائط الغربي بين المثلثات ، ومما يلاحظ على هذه الكف بأنها تعود إلى اليد اليسرى ، وهو ما يشير إلى استخدامها في طرد العين والسحر، ومن المتعارف عليه من تقاليد الأهالي إلى فترات قريبة توضع الكف وتسمي (الخميسة) على أغطية رؤوس الأطفال الصغار مصحوبة بقرن صغير خاصة أثناء الختان ، وتوجد بكثرة في بيوت البلدة القديمة ، ومن المعلوم أن هذه التعاويذ متوارثة عبر الأجيال لطرد العين ، والشكل رقم 5 – أ يبين كف اليد الموجودة بالمسجد:

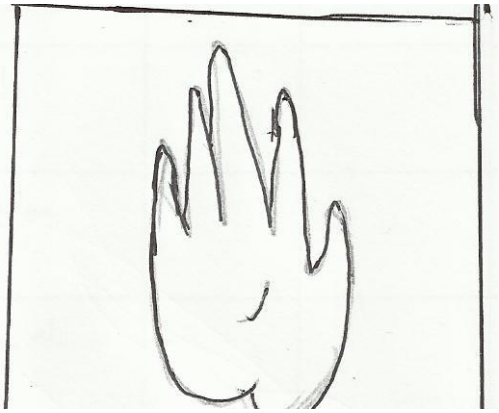

(الشكل 5 – أ)

2-**النجمـــة السداســـية :** توجد هذه النجمة في القوس الجنوبي بالرواق الداخلي وبعدد (3) إحداهم بها دائرة في الوسط، ولا شك هذه النجمة ترمز إلى خاتم سيدنا سليمان - عليه السلام - وهي كثيرا ما توجد في البيوت والمساجد ، ومنها الجامع العتيق بغدامس كما ذكر (عزت علي خيري) في بحثه المنشور في مجلة أثار العرب بأنها : " خاتم سيدنا سليمان " [37] ، وكذلك موجودة في منبر جامع شائب العين بطرابلس كما ورد في موسوعة الآثـــار الإسلامية في ليبيا[38] ، وتوجد كذلك في " منبر جامع القيروان "[39] ، وكان هذا الخاتم أو النجمة يعتقد الأهالي بدرجة كبيرة بأنها تجلب الخير والبركة وطرد العين ؛ بل كان من المتعارف عليه ومن العادات أثناء حصاد الزرع ودرسه وتنقيته من التبن والقش يوضع على هيئة كومة (عرمة) وترسم النجمة في قمته وتوضع في وسطها أداة التنقية أو عصى ويتم وضع دائرة خارج الكومة وتبقي ليلة كاملة لا تمس اعتقادا بان البركة سوف تحل بها لوجود النجمة (والله أعلم) ، وما وجود النجمة في المسجد إلا لهذا الغرض كما أشار كل الرواة الذين سألتهم عنها وبطبيعة الحال فإن بناء المسجد كان في أوائل العهد العثماني الثاني وكان بيت المقدس تحت سيادة المسلمين ، ولكن عندما استخدم الصهاينة هذه النجمة كشعار لهم ، وتمكنهم من احتلال فلسطين أصبح المسلمون لا يحبذون تداول هذه النجمة لديهم ، والشكل رقم 5 – ب يبين هذه النجمة التي تتوسطها دائرة :

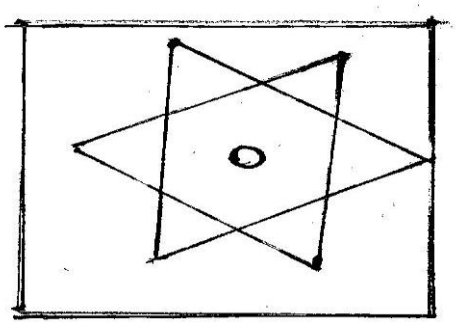

(الشكل 5– ب)

رابعا ــ زخـــــارف جمالية عامـــــة : انطلاقا من ميل الفنانين المسلمين إلى تغطية المساحات وعدم تركها فارغة بدون زينة [40] تعدد الزخارف بمسجد الحلالبة العتيق بالإضافة لما سبق ذكره ، فلا توجد ناحية أو جزء لا توجد به خطوط متوازية أو ملتوية أو متداخلة في الأقـــواس والأسقف بحيث يعتبر ايقونة زخرفية لولا الصيانة المرتجلة التي مرت بالمسجد جعلت بعض الأمكنة ملسا ؛ ولكن بالنظرة الفاحصة تلاحظ بأنها مكتملة ، وبالتالي ظهرت عدة زخارف عامة يمكن الإشارة إلى بعضها ومنها الشكل رقـــم(6- أ) الذي يبين زخرفة في كامل سقف غرفة تحفيظ القرآن التي كانت جـــزء من قصر الحلالبة القديم المعروف (بقصر الصياح) :

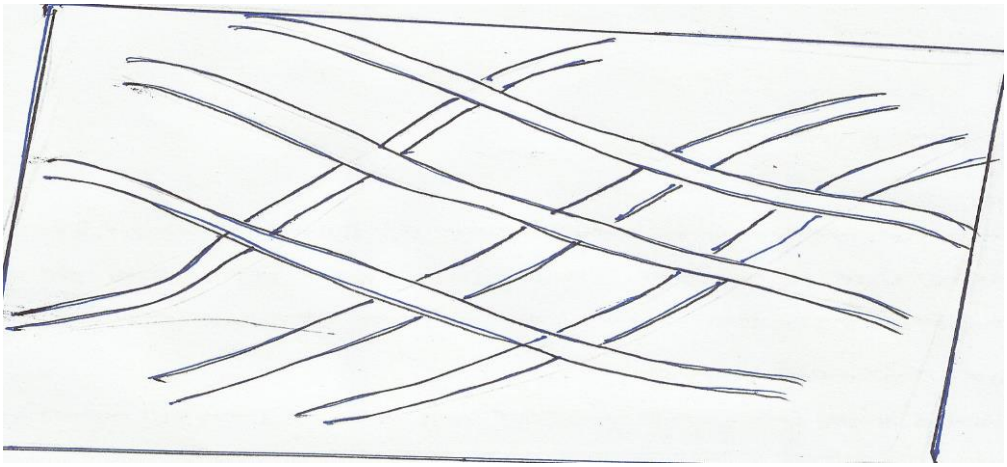

(الشكل 6- أ)

وكذلك المثلثات فهي من الأشكال الزخرفية المتوارثة عبر الأجيال توجد بكثرة في المدن القديمة ، وخاصة غدامس ودرج حتى أصبحت معلم من معالم هاتين المدينتين ،

ومما يلاحظ بان أسلوب المثلثات الزخرفية كان موجودا في الزخرفة الأموية والعباسية كما ذكـــر (موريس س. ديموند) في بحثه المترجم في مجلة أثار العرب[41] ؛ ولكنه لم يشير إلى مدلول هذه المثلثات ، واكتفى بوصف ما يوجد داخلها من زخارف نباتية ، وعند الرجـــوع إلى بعض المراجع التي تناولت هذه المثلثات ترجعها إلى المعتقدات الدينية الفينيقية التي حطت رحالها بشمال أفريقيا بقدومهم كتجار في البداية ثم حركة استيطان في النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد وهي تمثل (الآلهة تانيت) ، وهي ربة الخصب والنماء ، ويرمز لها بكف اليد والمثلث ، وهي من أكثر الإلهة تقديسا في الشمال الأفريقي[42] ، والشكل رقم 6- ب تبين الآلهة تأنيت مجسمة على هيئة امرأة ترفع يديها إلى الأعلى في شكل مثلث وتحمل في بطنها جنين :

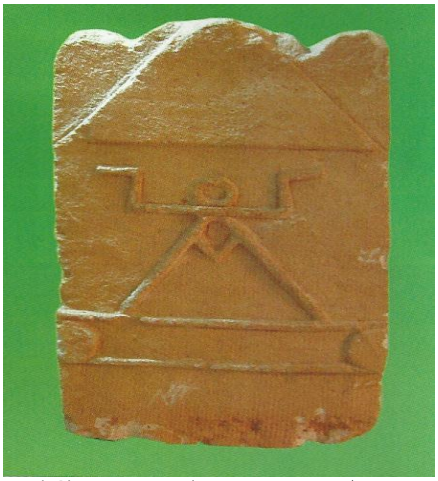

(شكل 6 – ب: الإلهة تانيت)[43]

ثم مع مرور الزمن تحول التجسيد إلى رمز ، وهو المثلث فقط ، والشكل التالي رقم 6- ج من المثلثات موجود في القوس الأوسط بالرواق الداخلي :

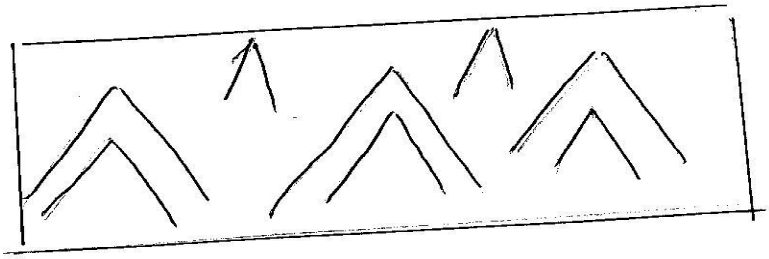

(الشكل 6- ج)

أما الزخرفة الأكثر تماثلا للآلهة تانيت هي وجود مستطيل يعلوه ثلاث مثلثات في المثلث الأوسط كف اليد ، وهذه الأشكال توجد في سقف الرواق الأول من الناحية الشرقية ، وفي منتصف الرواق الأوسط من الناحية الغربية وفي الناحية الشمالية في الرواق الداخلي من الجهة الغربية والشكل رقم 6 – د يوضح هذا المستطيل الذي بوسطه اسم عليّ بن سالم :

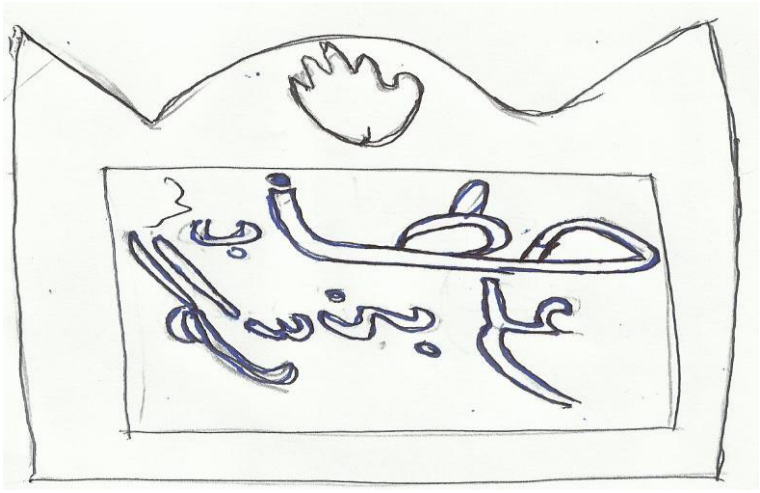

(الشكل 6 – د)

ولعل مقارنة هذا الشكل مع صورة الآلهة تانيت الموجودة في كتاب (انو ابوزعنين) [44] نلاحظ التقارب بينهما :

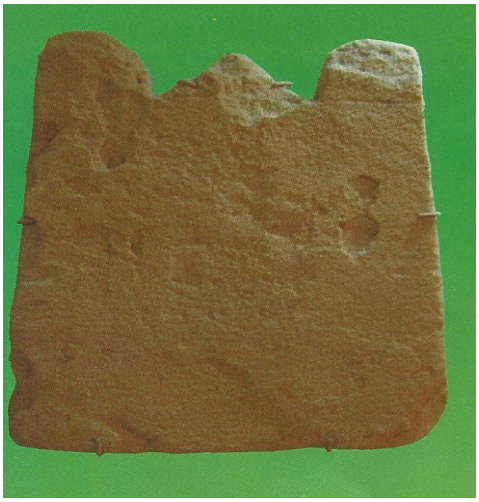

(شكل 6 – هـــ)

من خلال هذه المقارنة تتضح بجلا بأنها نفس الأشكال ولكن هل الأهالي في بلدة أولاد علي ينظرون إليها على أنها آلهة أم هي مجرد زينة ؟ فالأخير هو السائد عن جميع من اتصلت بهم بخصوص تفسير هذه الأشكال ، وينظرون إليها مجرد زخرفة أو زينة متوارثة عندهم من قديم الزمان ، ولعل الإشارة إلى ما ذكره (أنو ابوزعينين في كتابه : صدى الأفكار الروحانية...) حول نظرة أهالي غدامس إلى هذه الأشكال من مثلثات ومستطيلات تعلوها ثلاث مثلثات بإجراء استقصاء شمل (50) مواطنا تضمن " سؤالين اثنين ، وهما:

1- ما هو أصل ومصدر الشكل المثلث الموجود في مباني غدامس قديمها وحديثها وفي زخارف بيوتها ؟

2- لماذا يستمر حتى الآن استعمال هذا الشكل دون غيره ؟

وكانت الأجوبة جميعها أنه شكل هندسي متوارث كديكور جميل فقط ، وأنه لا سبب آخـــر لذلك، وبعبارة أخـــرى فان استمرار استعماله لا يعني استمرار الإيمان حاليا بما كان يمثله سابقا "(45).

إذن نظرة الأهالي إلى هذه الأشكال المتوارثة كزخرفة وزينة رسمت في أوائل العهد العثماني الثاني ، ومن المعروف بأن لكل فترة زمنية خصوصيتها الثقافية التي يجب النظر إليها فإذا كانوا هم نظروا إليها كزينة ماذا نقول عندما نجد الآن في أبواب بيوتنا الصلبان والمثلثات ؛ بل الأكثر تأثيرا عندما تجد الشمعدان اليهودي على الحوائط والمثلثات كديكور على مدخل البيت ، وليس المقام يسمح لأضع الصور ولكن بجولة سريعة في شوارع مدننا وقرانا تلاحظ ذلك .

بالإضافة إلى الشكل رقم 7- أ الذي يوجد في القوس الجنوبي بالرواق الداخلي:

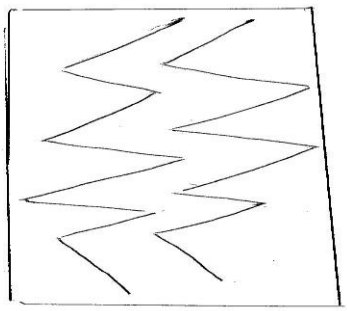

(شكل 7 – أ)

والشكل رقم 7- ب الموجود في الرواق الداخلي الجهة الجنوبية وهو يمثل خط متكسر :

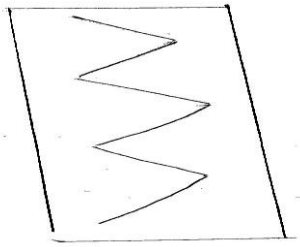

(الشكل7 – ب)

والشكل رقم 7- ج موجود في أقواس الرواق الداخلي الجهة الجنوبية :

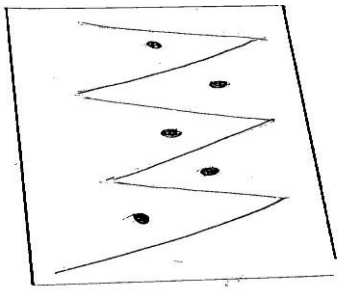

(الشكل 7- ج)

الشكل رقم 7 – د : موجود في القوس الأوسط من الرواق الداخلي :

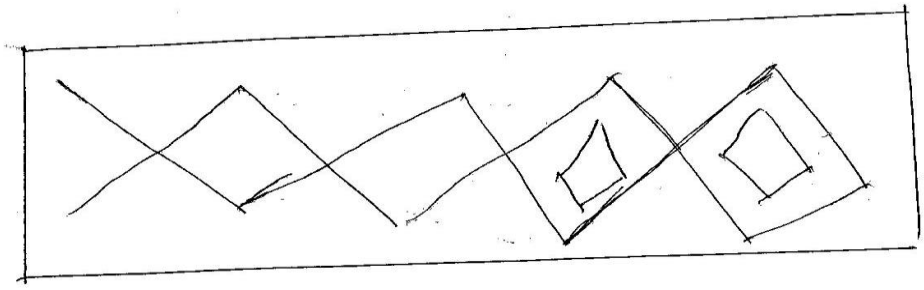

(الشكل 7 – د-)

الشكل رقم 7 – هـ: موجود في سقف القوس بالرواق الأوسط :

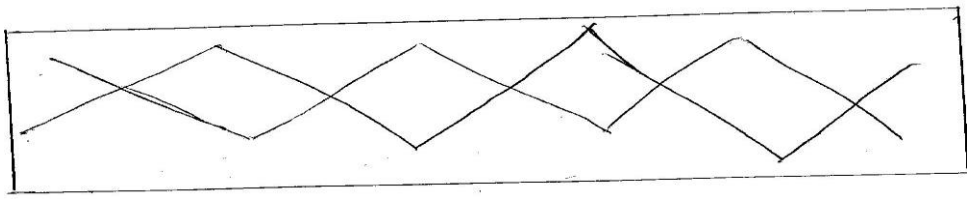

(الشكل 7- هـــ)

من خلال الأشكال التي حملت الرقـــم (7) نلاحظ بأنها زخارف فنية جميلة تعتمد على تغطية المساحات بصفة عامة في كل سقف بيت الصلاة بالمسجد ، وهي عبارة عن خطوط ملتوية أو منكسرة بزوايا بارزة أو بين هذه الانكسارات نقاط تعطي لمحة جمالية مميزة ، وبالتالي بالنظرة الفاحصة بعين فنان حساس لاشك سوف يجد في هذه الزخارف أيقونة زخرفية رائعة نقلت ألينا ثقافة من قام بعملية بناء هذا المسجد ، ولاشك هي امتداد لتلك الاتجاهات في بناء بيوت البلدة ، ونلاحظ ذلك من خلال الشكل 7 – أ الذي يمثل زخرفة جمالية بخطوط متوازية تشمل كل السقف الكاموري بالحجرة التي كانت جزء من قصر الحلالبة القديم وأعطيت للمسجد لتكون حجرة للإمام قبل الزيادات التي حدثت للمسجد عبر السنين .

الخاتمـــــــة:

الزخارف بمختلف أشكالها وأنواعها لها قيمة مادية تتمثل في الشكل الجمالي للمادة المزخرفة، وقيمة معنوية من حيث معرفة معتقدات واتجاهات وعادات ثقافية لأولئك الذين وضعوها ، ولعل الزخارف في العمائر الإسلامية ليست أشكالا جمالية وتزينية فقط ، وإنما اشتملت على عــدّة أنواع وأساليب وخطوط وإشارات دينية ومعتقدات فكرية كانت سائدة ، بالإضافة إلى نمط التزيين الذي كان سائدا بسبب كراهية وجود مساحات فارغة بدون زخرفة ، وهو ما وجد بمسجد الحلالبة العتيق الذي يرجع تاريخ بنائه إلى أوائل العهد العثماني الثاني ، ففي بيت الصلاة ذو الأسقف الكاموية بثلاث أروقة بحيث كل رواق يعتبر تحفة فنية بحد ذاته ، وكذلك في الأقواس التي بين الأعمدة زينت وزخرفت بمختلف الأشكال والأنواع منها : العبارات التي تحمل اسم الله جل جلاله ورسوله الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم - وتاريخ البناء وأسماء أشخاص وغيرها ، والرموز النباتية والحيوانية والمثلثات والنجمة السداسية ، فكل هذه الزخارف لها مدلول لدى الأهالي في بلدة أولاد علي وهو ما يتوارثونه عبر الأجيال منها : ما

يتفاءل به لجلب الخير والبركة للمسجد ، بإضافة إلي اسم الله - تعالي - ونبيه الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - ونبات الزرع وذروة الجمل والمحراث والطائر المهاجر (السنونو) والأمطار والثلوج والأودية ، ومنها ما يطرد العين وإبعاد الشر مثل : كف اليد اليسرى التي توجد في مختلف أنحاء بيت الصلاة والنجمة السداسية ، ومنها الزخارف الجمالية العامة المتوارثة مثل : المثلثات وخطوط الأقواس وخطوط الزوايا وما إلى ذلك ، عند التدقيق حولها يجد الباحث بأنها ربما ترجع إلى معتقدات قديمة، إلا أن الأهالي في بلدة أولاد عليّ نظرتهم لها لا تعدو أن تكون زخارف جمالية اعتادوا عليها في زخرفـــة بيوتهم ومسجدهم ، ويتوارثونها عمن سبقهم (والله أعلم).

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى وآلـــه وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الهوامـــش:

[1] - محمد فواد عبد الباقي : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان أماما المحدثين " الجزء 1-3 (الجزء الثالث) بيروت، دار الريان للتراث ، 1987، ص 324 (الهامش)

[2] - موريس س.ديماند " دراسات في الزخرفة العربية الإسلامية " القسم الأول : بعض ملامح الزخرفة الأموية والعباسية ، مجلة أثار العرب ، مصلحة الآثار ، العدد :الخامس ،سبتمبر 1992 ، ص43.

[3]- مسعود رمضان شقلوف وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، الجزء الأول ، تقديم : على مسعود البلوش ، طرابلس ، مصلحة الآثار ، الدار العربية للكتاب ، 1980.

[4]- على مسعود البلوش وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، الجزء الثاني ، طرابلس، مصلحة الآثار، جمعية الدعوة الإسلامية ، 1989.

[5]- غاسبري ميسانا " الزخرفة الهندسية في الفن الإسلامي " ترجمة : على الصادق حسنين ، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار ، العدد: السادس ، مارس 1993 ، ص 62.

[6]- الآية (18) سورة التوبة .

[7] - إبراهيم عبد الله ارفيدة وآخرون : معاني القران الكريم (تفسير لغوى موجز) الربع الثاني ، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية ،1989، ص 121.

[8] - خليفة محمد التليسي : معجم سكان ليبيا ، د: م ، دار الربان ، 1981م

[9] - للمزيد حول عائلات الحلالبة وأولاد علي ينظر : الدراسة الثانية التي تحمل عنوان (أولاد على والحياة الاقتصادية والاجتماعية) من ضمن دراساتنا التي تحمل عنوان (دراسات حول بلدة أولاد علي بالجبل الغربي) طرابلس ، العالمية للدعاية والإعلان ص-ص 205-208.

[10]- محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، عنى بترتيبه :محمد خاطر ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، 1976، ص 373.

[11] - أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1982، ص 373.

[12]- نفس المرجع ، ص 278.

[13] - يجب التنويه بان بعض المراجـــع التي تطرقت إلى أولاد علي تناولت مسميات (القبيلة ، العائلة ، واللحمة) ، ففي كتاب اغسطيني، استخدم مصطلح قبيلة " أولاد علي قبيلة من قبائل الرياينة " (هنري دى اغسطيني: : سكان ليبيا ، الجزء:الأول ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، طرابلس – تونس : الدار العربية للكتاب ، 1974) ص 476. وكتاب التليسي، استخدم مصطلح العائلة " أولاد على : قبيلة من قبائل الرياينة ،عائلاتها : المنعة ، الحلالبة ، المغاربة ، القوائدة) (خليفة محمد التليسي : مرجع سابق) ص79، وكتاب الشماخي ، استخدم مصطلح اللحمة " أولاد على لحماتها : المغاربة ...القوائدة ...الحلالبة ... المنعة " (إبراهيم سليمان الشماخي : القصور والطرق امن يريد جبل نفوسة من طرابلس (1303هـ -1885م) ترجمة :احمد مسعود الفساطوي ، دراسة وتقديم : أمحمد سعيد البوجديدي وآخرون، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،2005)ص47. ، و بالرغم من اختلاف هذه المصطلحات فان بلدة أولاد على تجمع سكاني محصور بين حافة الجبل من الشرق وغابة منزور من الغرب ووادي جميلة من الجنوب وحافة الجبل المطل على سهل الجفارة من الشمال وبالتالي التداخل في السكن وموارد المياه والمصاهرة المستمرة عبر مئات السنيين جعلتهم أخوة في الدم فلا توجد عائلة غير مختلطة مع بقية العائلات ، للمزيد يرجي الاطلاع على الجزء الأول من دراساتنا التي تحمل عنوان (عائلة أبناء عبد القادر كنموذج لترابط بلدة أولاد على ، طرابلس ، العالمية للدعاية والإعلان ، 2019) .

[14]- مجموعة من الباحثين : معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، القاهرة ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ،2007،ص 241.

[15]- تذهب اغلب الروايات الشعبية إلى أن هذا المكان عبارة عن كنيسة قطعت منه أعمدة واستخدمت في جامع أولاد علي العتيق الذي تم بنائه سنة 1217هـ (1802م تقريبا) وهي تظهر واضحة جلية ، أما الأعمدة التي بمسجد الحلالبة العتيق اختلفت الراويات بين أنها أعمدة كاملة وبين أنها قطع من أعمدة جمعت مع بعضها وجلبت من نفس المكان ، وطليت بمادة الجبس ، مع العلم بان هذا المكان لم يدرس اثريا حتى يتم التأكد منه .

[16] - عزت على خيري " غدامس .. جوهرة الصحراء" مجلة أثار العرب ، مصلحة الآثار العدد : الخامس ، سبتمبر 1992 ، ص117.،

[17] - زكي محمد حسن: في الفنون الإسلامية ، الجزء السابع ، بيروت، دار الرائد العربي 1981، ص16

[18] - عادل عبد السلام الشاعري " بداية ظهور الزخارف العربية الإسلامية ، مجلة أثار العرب ، مصلحة الآثار، العدد: الثاني ، مارس 1991 ، ص75.

[19] - جمعة المهدي كشبور " المآذن القديمة في مدينة بنغازي " مجلة أثار العرب ، مصلحة الآثار ، العدد: الثاني ، مارس 1991 ، ص80.

[20] - زكي محمد حسن: مرجع سابق ، ص44.

[21] - عادل عبد السلام الشاعري: مرجع سابق ، ص 76.

[22] - للمزيد حول طريقة البناء : ينظر بحثنا الذي يحمل عنوان " استخدام موارد البيئة الطبيعية في الإنشاءات المعمارية ببلدة أولاد علي في الجبل الغربي قبل القرن التاسع عشر" ، مجلة صدى المعرفة ، العدد، الحادي عشر، يونيو 2019.

[23] - سعيد على حامد "المقرنصات في الفن العربي الإسلامي" مجلة تراث الشعب العدد : الثاني ، السنة السادسة عشر 1996،ص 72.

[24] - للمزيد حول صناعة الجبس المعد للبناء ينظر : دراستنا الثانية التي تحمل عنوان (أولاد على والحياة الاقتصادية والاجتماعية) مرجع سابق ، ص 119.

[25] -غاسبري ميسانا: مرجع سابق ، ص 63.

[26] - أنتوني ج. كاكيا : ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني 1835-1911م طرابلس ، دار الفرجاني، 1975، ص 30-32.

[27] - محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء ، الطبعة ،الثانية ، طرابلس ، مركز دراسة وأبحاث شؤون الصحراء ، 1989، ص13 ، مع ملاحظة وجود ما يشبه هذه الأحرف في منطقة قصر ادر الواقع شمال بلدة أولاد على (الباحث)

[28] - سعيد على حامد : المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس ، طرابلس ، مصلحة الآثار ، 1978، 90.

[29] - زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، الجزء الثالث ، بيروت ، دار الرائد ، 1981، ص 166.

[30] - مصباح ابوعجيلة منصور " الحياة البرية بالجزء الشمالي من الحمادة الحمراء واقعها المعاش والظروف المحيطة " رسالة ماجستير غير منشورة طرابلس ، أكاديمية الدراسات العليا ، قسم الجغرافيا ، 2006، ص 39.

[31] - الصادق النيهوم : موسوعة الشباب المصورة ، ترجمة لجنة برئاسة رجا حجار ، الجزء الخامس جينيف ،دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع ، 1978، ص 31.

[32] - الآيتان : 10، 11 سورة النحل .

[33] - الآية : 17 سورة الغاشية .

[34] - ابن فضل الله العمري (749هـ) : مسالك الإبصار في ممالك الأمصار في الحيوان والنبات والمعادن ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1996، ص 29.

[35] - حديث عائشة الذي يحمل رقم (1418) في باب استحباب الرقية من العين ، ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي : مصدر سابق ، ،ص 61.

[36] - نفس المصدر السابق : ص 61.

[37] -عزت على خيري " غدامس .. جوهرة الصحراء " مجلة أثار العرب ، العدد: الخامس ، سبتمبر 1992، طرابلس ، مصلحة الآثار ، ص 117.

[38] - موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، الجزء الثاني : مرجع سابق ، ص 33.

[39] - موريس س.ديماند " دراسات في الزخرفة العربية الإسلامية " القسم الأول بعض ملامح الزخرفة الأموية والعباسية ، ترجمة : على مسعود البلوشي ، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار العدد: السادس ، مارس 1993، ،ص 50.

[40] - زكي محمد حسن : مرجع سابق ، ص 44.

[41] - نفس المرجع السابق ، ص 52.

[42] - أنور أبوزعينين : صدى الأفكار الروحانية والعقائد الدينية في معزوفات الآثار الليبية ،سلسلة قراءة الآثار الليبية رقم -2- طرابلس : مطبعة المستقبل ، 2009، ص: 51

[43] - نفس المرجع السابق : 51

[44] - نفس المرجع السابق : ص 51.

[45] - نفس المرجع السابق : ص 56.